وقد تبين من الاطلاع على اللغة السنسكريتية والزندية ان بينهما وبين اكثر لغات اوربا تناسباً في كثير من الاوضاع والاحكام مما يشير الى ان لجميعها اصلاً واحداً هو اللغة الآريَّة . فاستُدلّ من ذلك كلهِ على ان اقواماً من الآريين هاجروا في ذلك الحين الى الغرب وانتشروا فيهِ وكانوا عدّة قبائل قيل كانت مساكنهم بارض لموريا وهي برٌّ واسع بجنوبي الهند طغى عليهِ البحر على اثر انخسافٍ حدث في تلك الناحية فنجا من نجا منهم ولحق بالبلاد الاوربية وذلك في اواخر الدهر الرابع . ثم امتزجوا باهل اوربا فانتقلت ملامحهم وهيآتهم الى السلائل التي امتزجوا بها كما يتبين ذلك في الامم الجرمانية والصقلبية وغيرها وكانوا ارقى مدنية منها فاقتبست من صناعتهم ولا يزال اثر ذلك فيها الى هذا اليوم والله اعلم

حديقة السوسن

لحضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري الدمشقي

(تابع لما قبل)

— ١ —

من انت ايها الرجل النشوان بخمرة غرورك . ومَن هي المرأة التي تتبعك اتباع الظلّ وتمتزج بك امتزاج الماء بالراح في معايشك ومصيرك . أليس ان اسم « الانسانية » يشملكما معاً ويربط احدكما بالآخر رباطاً لا انفكاك لهُ بلا امتيازٍ بينكما ولا تفريق

أليس ان وحدة النوع جعلتكما كياناً واحداً ذا شطرين متحدين روحاً ومعنىً وصورةً وان كنتما منفصلين وجوداً وجسماً ووظيفة

أرأيت في عمرك أرومةً في روضةٍ ذات جذعين يختلفان في الإثمار فيكون جنى احدهما حلواً وجنى الآخر مرًّا . كلاَّ ان الشجرة الواحدة وان كانت ذات جذعٍ او جذوع لا يمكن ان تكون طبعاً الاَّ ذات ثمارٍ متشاكلة ومزية واحدة تتجانس فروعها وجذوعها وتتماثل ازهارها واوراقها

فما بالك إذن ايها الرجل تنسب الى المرأة وقد نبتَّ واياها من أرومةٍ واحدة اخلاقاً احطَّ من اخلاقك او طبائع اخسَّ من طبائعك ومدارك ادنى من مداركك . تقرّر لنفسك عليها مزية التفوُّق والافضلية في الخُلق فتحسبها كذوباً وانت الصادق . محتالةً وانت المستقيم . ماكرةً روَّاغةً حمقآء وانت السويُّ العاقل الحكيم . ترميها بالخيانة وتستأثر بالوفآء . وتريدها ذليلةً ممتهنةً وانت العزيز الممنَّع . قضيتَ بان تكون محكومةً وانت الحاكم . واسيرةً وانت المطلَق . وخادمةً وانت المخدوم

عجبي بك ايها الظالم لنفسك اكثر مما لها كيف تطمع ان تكون جنَّتك وانت لها نار . ونعيمك وانت لها شقآء . ومُحبَّتك وانت لها مبغض . تستمدّ من بنانها الراحة وانت لها تعب

افرأيت شريكاً تضمر لهُ غدراً فيفي . وتظهر لهُ العداوة فيسالم . تقابلهُ بالعبوسة والمقت فيبشُّ . تريد بهِ السوء فيُخلِص . تحاول اهتضامهُ فيسرُّ . وتسومهُ الذلة فيجأُك ويرفع قدرك . لا لعمر الله فانهُ ولا جدال يكايلك صاعاً بصاع . وهيهات ان تحصد الا مما زرعت

كن اذن على يقين انك لم تظلم المرأة بل ذاتك ظلمت اذ توهمت ان استعلآءك عليها واذلالك لها وسلبك حقها سيعود عليك بالفوز والهنآء

والغنم . مع انهُ كان ولا يزال مجلبةً للغمّ ومدعاةً للبؤس والهمّ . أفتستريح وشطرك المتمم كيانك متُعَب . او تلتذُّ وأليفك الملازم لك مُوجَع . وهل يمكن ان تسعد ورفيقك شقيّ او تعتزُّ وجارك ذليل

لما رأى ارسطو(١) مرشد ذي القرنين عتوّ تلميذهِ الاسكندر وشدة الجبروت والغطرسة اللذين يعامل بهما الامم استبداداً في الحكم ونزوعاً الى الاطلاق في السيادة قال لهُ ناصحاً « لا ينفعك ان تؤسس عرشك

---

(١) هو الفيلسوف اليوناني الشهير اكبر حكمآء التاريخ ولد في ستاجيرا بمكدونية سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ في مدينة خلكيس . تتلمذ في في آثينا لافلاطون في السنة السابعة عشرة ولبث يتخرج عليهِ زهآء العشرين عاماً فعُدّ رأس الفلاسفة المعروفين بالمشآئين . وسمي المعلم الاول لانهُ اول من وضع التعاليم المنطقية وقرر قواعدها ومنزلتهُ منها منزلة واضع النحو ابي الاسود او واضع العروض الخليل بن احمد . فلما مات افلاطون برح اثينا واقام في جزيرة لسبوس فورد عليهِ سنة ٣٤٣ رقيمٌ من فيلبس المكدوني يطلب اليهِ ان يكون استاذاً لابنهِ الاسكندر ومما قال في ذلك الرقيم « اني لم اهنأ بولادة ابني بمقدار هنآءي لولادتهِ في ايامك » فاجابهُ ارسطو الى طلبهِ وعلّم الاسكندر وثقفهُ ما امكن التثقيف لرجل كالاسكندر جبار عنيد . فكان ذا منزلةٍ سامية في بلاطهِ وبلاط ابيهِ وكانا لا يبرمان امراً خطيراً من امور الملك دون استشارتهِ والاخذ برأيهِ . وبهذا ومثلهِ كانت تسود الملوك . ولقد قلت

لا تزعمنْ ان المراتب خصصت بذوي القرائح والفؤاد النيرِ
لو كان قدر العلم يعطي منصباً لغدا ارسطو سيد الاسكندرِ

ومن حكم ارسطو البالغة قولهُ « كن عبداً للحق فان عبد الحق حرّ » و « انما فضّل الناس على البهائم بالنطق فأحقهم باسم الانسانية أبلغهم منطقاً »

على الرؤوس بل على القلوب » يعني ان خضوع الرعية لهُ انما يكون بامتلاك قلوبها والتحبب اليها لا بقهرها واستذلالها فان الملوك لا يثبت سلطانهم بين محكوميهم بالقسوة والعنف بل بالاستيلآء على عواطفهم ومعاملتهم بالرعاية واللطف

وهذا القول عينهُ يصدق على المرأة بالنسبة الى الرجل لانهُ اذا كان اسكندر الكبير مع قوة سلطانهِ وبسطة يدهِ وسعة اقتدارهِ لا يستطيع ان يسود رعاياهُ دون ان يعدل فيها ويرفق بها وينتصف من نفسهِ لها فكيف يتأتى لك ايها الرجل ان تكون سعيداً في عيشك منعماً في بيتك هنيئاً بين سربك مع كونك تبني سيادتك على رأس المرأة لا على قلبها

كن قوقاسياً آسوياً . او زنجياً افريقياً . او هندياً اميركياً . بل كن ما شئت عربياً او تركياً . بوذياً او برهمياً . مسيحياً او مجوسياً . دينّاً تقياً . او معطّلاً طبيعياً . فلا محيص لك عن السلوك في رهطك وبين اسرتك وفقاً لهذه القاعدة العامّة وهي « المرأة والرجل سوآء . والرابطة بينهما العدل والوفآء » فالعاقل الأَصيل الرأي من اذا رأى العبرة اعتبر واذا زُجرَ بحكمةٍ وصواب ارعوى عن الجور وازدجر

ان الأمة الفرنسوية لما ثارت في اواخر القرن الثامن عشر فألقت عن عاتقها نير تحكُّم الملوك وحلَّت من عنقها ربقة استبداد السادات ومحت من صفحات قوانينها امتيازات الرؤسآء شاريةً بدمآء الآبآء حرية الابنآء وضعتْ نظاماً سمّتهُ «حقوق الانسان» وجعلت هذا النظام قاعدةً لحكومتها الجمهورية المؤسسة على مساواة حقوق الافراد

فالمادّة الاولى من هذا النظام مؤداها « ان الانسان حرٌّ في تصرفهِ مستقلٌّ باعمالهِ مطلقٌ في افكارهِ وتصوُّراتهِ واعتقاداتهِ لا جناح عليهِ ولا تثريب الا فيما يُلحِق ضرراً بغيرهِ من افراد نوعهِ او يأتي بحديثٍ يشوش الامن العام »

فهذه المادّة التي تحسَب زبدة الحقوق البشرية والتي لاجلها أُريق دم عشرات بل مئات الوف من بني الانسان وعلى دعامتها القويمة تأسس نظام جميع الامم المتمدنة في هذا العصر وستتمشى في أجسام سائر المجتمعات القومية من قطب الى قطب لم تضع فارقاً في الحرية الممنوحة بموجبها بين الرجل والمرأة ولم تخصص الرجل بالذكر عند بيان هذه الحقوق بل في قولها « الانسان » تركتها شائعة عامّة تتناول كل فردٍ من افراد الجنسين الرجال والنسآء بلا تمييز ولا تفريق . اما في الوظائف والواجبات فبين الجنسين تفاوتٌ بعيد وبونٌ شاسع لا مريةَ فيهِ ولا خلاف . من ذلك ان النسآء مُعفيات من الجندية وحراسة الوطن والتكسُّب بمشاقّ الاعمال وبواعث الابتذال لا لانحطاطهنَّ عن الرجال رتبةً بل لان هذه الاحوال لا تتناسب مع قواهنَّ الطبيعية وواجباتهنَّ الانثوية ولأنها تخلُّ بنظام المنزل الذي هنَّ الحاكمات فيهِ ووظائف الحمْل والولادة والتربية . وهذه امورٌ تستلزم الراحة والتفرُّغ والتخلي عن الصنائع والمِهَن وما ورآءها مما خُصَّ بالرجال تحصيلاً للمجد والمال

والحاذق الصادق الحدس يدرك بالبداهة ماهية الفرق بين المنزلة والحقوق وبين الواجبات والوظائف . كما ان العاقل الخبير يشعر بادنى تأمُّل

ان حقوق المرأة التي سنَّتها الحكمة منذ الازل ولكنها لبثت مَدُوسة تحت اقدام الجهل واستبداد الرجل حتى دفعها جيل الفرنسيس في أُخريات الدهور من الحضيض واقعدها على العرش قد انتشر سلطانها انتشار البرق في اطراف العالم الغربيّ وتسرَّبت احكامها في قليل من الزمان الى اكثر الممالك والشعوب الاوربية والاميركيَّة . ولما اصبحت عند اولئك الاقوام واجبة الرعاية جديرة بالاتباع مزَّقت عن بصائرهم حُجُب العماية والجهل وعرجت بهم الى فلك الهداية والمعرفة ناقلةً إياهم من مهاوي الاستعباد والفقر والشقآء الى معارج الحرية والغنى والسعادة في فراديس الدعة والامن والهنآء

وهذا برهانٌ واضح على وجوب مساواة المرأة بالمنزلة والحقوق والتجافي عن اعتبارها مخلوقةً لتُحبَس في السراديب وتحجَب في القصور ورآء الستور مقصورةً حياتها على الاهتمام بارضآء الرجل والقيام بخدمتهِ . وما ذلك الا لكونها بحسب زعمهم ادنى من الرجل رتبةً واقرب الى الشرّ . وهذا عين ما يعتقدهُ السواد الاعظم من الشرقيين في آسيا وافريقيا حتى اليوم اولئك الذين مع انتشار هذه الحقيقة الساطعة وظهور نتيجتها النافعة في اوربا واميركا لا يزالون يكابرون فيها جهلاً وعناداً

جملة الامر ان الرجل الذي يسعى بان يسلب المرأة شيئاً من حقوقها فانما يسلب ذلك الحق من نفسهِ لان الانسان الكامل طبيعةً بالنظر الى النظام المعاشي والعمرانيّ انما هو مركبٌ من ذكرٍ وانثى معاً ولا عبرة بالانفصال المحسوس عند الخوض في هذا البحث . فالرجل والمرأة يؤلفان

في عالَم الوجود الأُلفيّ كياناً واحداً لا كيانين . فاذا لم يكن الكيان بجملتهِ متناسب القوى متساوياً في الاعتدال وصحة المزاج معنى ومادّةً مرتبطاً كل عضو منهُ بوظيفة التعاون مع الآخر قلباً وقالباً متواطئاً مجموعهُ على سلامة اجزآئهِ وحفظهِ وجلب المنافع لهُ ودرء المضارّ عنهُ لا يمكن ان يدوم صحيح الحيويّة غير معرّضٍ للآفات والعاهات ولا سالمٍ من الاعتلال والاختلال او على الاقل يلبث دون غيرهِ نمآءً وارتقآءً في سلّم الحياة . وما دام كذلك فهو طبعاً غير هنيء العيش ولا سعيد

فماذا فعل الرجل اذن بما سلب من شطرهِ ألَم تعاقبهُ نواميس الكون العادلة على ما ابداهُ من الحيف بان صيّرت كيانهُ المزدوج غير صحيح ولا سليم واقفاً عند اول درجةٍ من مرقاة المدنية ينظر الى من باعلاها وهو مسلوب القرار معدوم الهنآء والنعيم

تلك لعمرك نتيجة عدم التعادل في كل كيانٍ موجود « وكلُّ مملكة تنقسم على نفسها تخرب» ستأتي البقية

غرائب البصر (١)

اذا نظرنا الى شبحٍ فمن الضرورة ان صورة ذلك الشبح ترتسم على شبكية كلٍّ من العينين فكان ينبغي ان نرى هناك شبحين ولكنا مع ذلك لا نرى الا شبحاً واحداً . والسبب في ذلك ان كل نقطةٍ نيّرة من الشبح ترتسم على نقطتين من الشبكيتين توافقان عصباً واحداً من

(١) انظر صفحة ٢٣٨ و ٢٩٢